المرأة تتحدث عن ذاتها

د. مظفر عالم
الأستاذ المشارك، قسم الدراسات العربية
جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية،
حيدرآباد، الهند

ملخص البحث

[السيرة عبارة عن ترجمة لحياة شخصية إنسانية متميزة، ويسعى هذا المقال إلى إبراز دور الأدبيات و الشاعرات العربيات في كتابة السيرة الذاتية، وتم التركيز في هذه العجالة على عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ صاحبة "على الجسر" وزينب الغزالي الجبيلي صاحبة "أيام من حياتي" ونوال السعداوي صاحبة "مذكرات طبيبة" و"مذكراتي في سجن النساء" والشاعرة فدوى طوقان صاحبة "رحلة جبلية: رحلة صعبة" و نازك الملائكة صاحبة "لمحات من سيرة حياتي و ثقافتي" و فاطمة موسى صاحبة "صفحات من دفتر الحياة". أما هذا البحث فهو يعرض لأعلام السيرة الذاتية اللواتي ذكرن في البداية، وقد تباينت مشاعر ولغة هؤلاء الكاتبات و الشاعرات، وقد ختم هذا البحث ببعض الملامح الفنية في هذا الجنس الأدبي الذي – للأسف – لم تكثر الدراسات حوله.]

خلفية الموضوع

لا يختلف اثنان على أن مصطلح السيرة الذاتيّة حديث النشأة في الأدب العربي، فقد ولد ونشأ في أوروبا، ولذا ينتمي إلى الثقافة الغربيّة ويناسب لها بدايةً. و لم يكن مفهومها معروفا لدى العرب، فقد ظهر هذا الجنس الأدبي في الأدب العربي الحديث كجنس مستقل عن الأجناس الأدبية الراهنة الأخرى في

مصر والدول العربيّة، بعد اتصالها بالغرب عامة وبعد احتكاكها بالفرنسيين بوجه خاص.

ومن المعتقد أنّ السّيرة الذّاتيّة باعتبارها جنسا حديثا مفهوما ومصطلحا لم يتعاطها العرب إلاّ في عشرينيات القرن العشرين، ويعد كتاب "الأيام" لطه حسين (الجزء الأول عام 1929م) النص الأدبي الأول و الذي يمثّل مفهوم السيرة الذاتية وإشكالياتها ومتطلباتها، فقد كان إلمامه بالثقافة الغربية وبالأحرى الثقافة الفرنسية عاملا مساعدا على تأليف هذا الكتاب، ولا شك أن طه حسين قد اطلع على اعترافات جان جاك روسو وعلى يوميات أندري جيد وذكرياته وغيرها من مؤلفات السيرة الذاتية الشهيرة في الثّقافة الفرنسيّة.

و قد تابعه كثير من الأدباء العرب مثل إبراهيم عبد القادر المازني في " قصة حياة" (1934) و أحمد أمين في "حياتي" (1950) و ميخائيل نعيمة في "سبعون" (1959ـ 1960) وعباس محمود العقاد في كتابه "أنا" (1964) و حنا مينه في ثلاثيته: "بقايا صور" (1975) و"المستنقع"(1977) و "القطاف" (1986) و محمد شكري في "الخبز الحافي" (1982) و"زمن الأخطاء" (1992) و رفعت سعيد في "مجرّد ذكريات" (1989) و عروسي المطوي في "رجع الصدى" (1991) وعبد الله الطّوخي في "سنين الحب والسجن" (1994) ونوال السعداوي في "أوراقي حياتي" (200ـ 2001) و عبد الرحمان بدوي في "سيرة حياتي" (2000) و إدوارد سعيد في "خارج المكان"(2000) و سهيل إدريس في "ذكريات الأدب والحب" (2002). إنّ كلّ هذه المؤلّفات سير ذاتيّة كاملة لأصحابها، وهي مؤلفات تمثّل أجيالا مختلفة من الكتّاب وتشير إلى مسيرة هذا الجنس الأدبي وتطوره في الأدب العربي الحديث.

و مهما كان الأمر، فقد سبق الرجال و أقبلوا عليه و سجلوا حضورهم قبل نظيراتهم في الساحة الأدبية العربية، فدبجوا بأقلامهم كمية هائلة من حوادث ووقائع واضطرابات زمنية ضمن سرد حياتهم الوجيزة أو الطويلة، وبذلك لفتت كتاباتهم أنظار الأدباء و النقاد و الباحثين و الذين علقوا و قاموا بتحليل ما

كتب أصحاب التراجم و السير الذاتية ، غير أن هؤلاء النقاد و الباحثين العرب و ما سواهم لم يهتموا بدراسة السير الذاتية النسائية على مستوى البحث و التحقيق مثلما اهتموا بدراسة تراجم الرجال.

فتضاربت الآراء عن ندرة اهتمام النقاد و الباحثين بالسيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي الحديث ، فرأى بعضهم أنه يوجد الضعف الشديد في إنتاج السيرذاتي النسائي، بخلاف ما كتبه الرجال في هذا الإطار، ووجد الآخرون سبب قلة الاهتمام في استمرار العديد من المؤثرات والشروط التاريخية والاجتماعية ، التي واكبت فعل الكتابة الأدبية عند المرأة العربية، ويمكن إرجاع سبب ذلك إلى قلة النصوص السيرذاتية التي كتبتها المرأة العربية حتى الآن. و هذا من نافلة القول بأن المرأة العربية ادخرت ما كان في وسعها من المقدرة العلمية و الكامنة الفكرية في أشكال من الجنس الأدبي مثل الشعر و الرواية و القصة و المقالة بجميع أنواعها و لكنها تخلفت في مجال السير ذاتية بقدر كبير من الرجال، كما تخلف الرجل العربي من أنداده في الغرب في أنواع أدبية عدة. و قد أعرب الأديب المغربي الدكتور عبد الرحيم العلام عن أسباب أخرى لتخلف المرأة في مجال السيرة الذاتية فقال:

"وترجع أسباب تلك الضآلة ، في الإنتاج السيرذاتي لدى الكاتبة العربية ، إلى تضافر العديد من العوامل والأبعاد الحضارية والتاريخية والسوسيوثقافية والنفسية والإبداعية ، تلك التي مازالت تعاكس رغائب المرأة العربية الكاتبة في الكتابة ، وفي التعبير عن ذاتها و رغائبها ، وعن تجاربها في الحياة والكتابة ، وفي البحث عن ترسيخ وضعها الاعتباري ككاتبة لها إسهامها الخاص في بلورة الوعي، وإشعاع ثقافة أدبية حداثية، وهي الشروط التي أضحت اليوم معروفة ومتداولة بين النقاد ومؤرخي الأدب، ومن بينها على الخصوص استمرار الشعور

بكون الكتابة السيرذاتية مازالت تعتبر ضربًا من المغامرة، وطابوها مازال يصعب اقتحامه بشكل مكثف ومباشر"([1]).

فعلى صعيد السير الذاتية، التي كتبتها المرأة العربية، يمكن الإشارة إلى بعض النصوص التالية، و التي مازالت باقية و مشهورة في المشهد الأدبي العربي حتى الآن:

1- (على الجسر) لعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار الهلال، القاهرة 1967م.

2 - (أيام من حياتي) لزينب الغزالي، دار الشروق، 1979م.

3 - (مذكرات طبيبة) لنوال السعداوي، دار الآداب، بيروت، 1980م.

4- (رحلة جبلية...رحلة صعبة) لفدوى طوقان، دار الشروق، 1988م.

5- (حملة تفتيش: أوراق شخصية) للطيفة الزيات، كتاب الهلال، القاهرة، 1992م.

6 - (الرحلة الأصعب) لفدوى طوقان، دار الشروق، 1992م.

7- (دفاتر امرأة: حميدة نعنع)، المؤسسة العربية للدراسات و النشر و التوزيع، 1992م

8- (رجوع إلى الطفولة) لليلى أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993م.

9- (ذكرياتي في الاتحاد السوفيتي: مريم التوفيق) دار الأمان للنشر و التوزيع، مغرب، 1999م.

10- (أوراقي...حياتي) لنوال السعداوي، دار الآداب، بيروت، (3مجلدات)، 2001م.

11 - (أوراقي) لفاطمة حسين، الكويت، 2001م.

[1]- عبد الرحيم العلام، الكاتبات العربيات وسيرهن الذاتية

12- (حضن العمر) فتحية العسال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م.

وقد جاء في كتاب التميمي إشارة لندرة العثور على سيرة ذاتيّة نسائيّة بالمفهوم المعاصر للسيرة الذاتيّة الحديثة في بدايات دخول المرأة عصر النهضة، وإنما كتبت المرأة عن حياتها بأشكال أدبيّة أخرى لها صلة بالسيرة الذاتيّة، من خلال ارتباطها بالكشف عن الذات ارتباطًا وثيقًا مثل المذكرات، اليوميات والمقال الشخصي([1]).

وقسمت التميمي مراحل السيرة الذاتيّة النسائيّة في الأدب العربي الحديث إلى مرحلتين: المرحلة الأولى مع مطلع القرن العشرين وحتى منتصفه والتي ارتبطت بالاضطراب السياسي والاجتماعي في العالم العربي فبينما كان الشعب العربي يخوض حروب الاستقلال ضد الاستعمار والاحتلال كانت النساء العربيات خاصة في مصر، لبنان وسوريا يخضن معركة أخرى ضد الجهل، والحجاب والاضطهاد الاجتماعي والسياسي للنساء، وأما المرحلة الثانية فيمكن تحديدها من منتصف القرن وحتى نهايته والتي تعد مرحلة التحرر الوطني مع انتهاء الحروب للشعوب العربية ومسيرة كفاح المرأة العربيّة والتي حُفِظ لها مواقفها من خلال إبرازها لكل ما يرتبط بالصراع السياسي والاجتماعي وفكرة الحرية إلى جانب الكتابات الإبداعية. فكتبت المرأة وقتها عن حياتها بأشكال مختلفة: فمنهن من اهتمت بتسجيل يومياتها، وأخريات اعتنين بالمذكرات المهنيّة ومسيرتهن التعليميّة، وأخريات ركزن على التجارب القاسية وتحدثن عن معاناتهن الشخصيّة سواء أكان ذلك عن طريق يوميات، مذكرات، اعترافات، أدب الرحلة، مقالة شخصيّة ورسائل([2]). و اعتبرت التميمي أن الإطار الأسري والاجتماعي مسئول عن تخلف المرأة في هذا المجال و كان تحديا أمام الكاتبة لاتخاذها كتابة هذا النوع من الأدب.

[1]- التميمي، أمل (2005). السيرة الذاتيّة النسائيّة في الأدب العربي المعاصر. ص 32

[2]- التميمي، أمل (2005). السيرة الذاتيّة النسائيّة في الأدب العربي المعاصر. ص 34- 35

و لا شك فيه أن كتابة السيرة الذاتيّة تتطلب إلى جانب التعليم، دوافع ذاتيّة، نفسيّة ومسببات خارجيّة تدفع إلى نمو الوعي بالذات الفرديّة كي تتأمل ذاتها وتحلل أعماقها وتعبر عنها([1]). و قضية تعليم المرأة قد شغلت كثيرًا من الكاتبات في القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين. و هي أصرت على عملية الربط بين كتابة المرأة عن ذاتها بحركة تحرير المرأة في العالم العربي الحديث. تبعًا للتأثير العميق الذي حققته هذه الحركة في مصر ما بين الثورتين (1919 و1952) في إيجاد هوية فردية ووطنية للمرأة العربيّة المصريّة، مع العلم أن قيادات نسائيّة كثيرة قد تزعمن هذه القضية وبدأن الكتابة عن أنفسهن بأشكال مختلفة أمثال نبوية موسى، مي زيادة، هدى شعراوي و إنجي حسن أفلاطون ([2]).

كما أن التميمي تعتبر مطلع الثمانينيات بداية مرحلة النضج الفني للسير النسائيّة العربيّة من خلال ظهور نماذج من السير التي تتطبق عليها إلى حد كبير جدًا شروط السيرة الذاتيّة كفن وكنوع أدبي، كسيرة فدوى طوقان (رحلة جبليّة صعبة) وسيرة نوال السعداوي (أوراقي حياتي) سنة 1998 وسيرة زينب الغزالي (أيام من حياتي) سنة 1989 وغيرهن الكثير([3]). ورغم ذلك كله فإن نصيبها قليل من حيث الكم وذلك يعود بسبب خجل المرأة عن البوح بذاتها وظهور الكتابة كما ذكر سابقًا في فترة متأخرة، ولكنها تمتاز بلغتها العاطفية ومضامينها التي تميل فيها إلى المواضيع والقضايا النسوية.

"على الجسر" لعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ

اتفق الأدباء والنقاد على أن السيرة الذاتية لعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ هي أول سيرة ذاتية نسوية في الأدب العربي الحديث ولم يسبقها كاتبة في المشرق العربي ولا في المغرب العربي. و هي عبارة عن تصوير صادق لحياة

---

[1] – التميمي، أمل (2005). السيرة الذاتيّة النسائيّة في الأدب العربي المعاصر. ص 29

[2] – التميمي، أمل (2005). السيرة الذاتيّة النسائيّة في الأدب العربي المعاصر. ص 32

[3] – التميمي، أمل (2005). السيرة الذاتيّة النسائيّة في الأدب العربي المعاصر. ص 37- 38

الكاتبة و القيم الاجتماعية العربية بتلك الآونة التاريخية حيث أوضحت الكاتبة سبب كتابتها وما تنوي أن تكتبه في صفحات سيرتها الأولى "كيف سارت بي الحياة قبل أن ألقاه؟ في ذاك الفصل من قصتي، أعود إلى طفولتي الباكرة، فاسترجع من ذكرياتها ما لم تطوه الأيام والليالي في متاهة النسيان..غير أني أريد لألتقي بتلك الصبية التي حملت ملامحي الأولى، وأميز في آثارها خطاها، تلك المرحلة التي أسلمتها على دربه من حيث لا تدري!"([1]) فهي توضح بأنها ستتطرق في سيرتها هذه إلى ذكريات الطفولة والمراحل المهمة التي عاشتها قبل لقائها بزوجها، تحاول أن تلتمس العذر بعدم الإفصاح عن كل الأمور وخاصة بما يتعلق بذكريات الطفولة محمّلة النسيان مسؤولية ذلك. فهي تريد العودة إلى فترة طفولتها وصباها واللقاء بالصبية الحية في داخلها، في ماضيها وفي ذاكرتها. وهنا يتجلى حنينها لتلك الفترة من حياتها. كما أنها تدعو القراء لمشاركتها بذلك وأيضًا لتخفف عبء السنين وتطويه بين هذه الأوراق التي عجز النسيان عن طيها سابقًا. ثم تقول: "وأنا اكتب هذا، بعد أن تمت القصة فصولًا، على مسرح الدنيا..ولست أدري ما إذا كنت فيما أروي من فصلها الأوّل، متأثرة بما اعرف من بقيتها.. غير أني أحاول قدر ما استطيع، أن استعيد ماضي كما كان، حريصة ألا تتداخل المشاهد وتختلط الذكريات، في قصتنا التي ما سمع الزمان بمثلها من قبل.. وهيهات أن تتكرر ابد الدهر.."([2]) في هذا الاقتباس يمكننا أن نلاحظ أن الكاتبة ترى بالمرحلة العمرية التي وصلت إليها بأنها قد أكملت مشوارها المهم وبأن كل حوادث قصتها قد تمت لذا تعتقد بأن قصتها ناضجة الآن بما فيه الكفاية وقد استوفت فصولها على مسرح الدنيا، معترفة بأن هناك احتمال للبس والتداخل في مراحل حياتها المتقدمة بسبب مراحل تالية أخرى تراها بالمهمة أيضًا، فتلخص ذلك وتقول أن قصتها مع زوجها ما هي إلا أسطورة الزمان التي من الصعب أن تتكرر.

[1] "على الجسر". ص 14

[2] "على الجسر". ص 14- 15

لقد كان موقف الأب من العلم والتعليم المتحضر المدني إن كان في المدرسة أو الجامعة موقفًا سلبيًا البحتة، وقد تمسك دائمًا برأيه "ليس لبنات المشايخ العلماء أن يخرجن على المدارس الفاسدة المفسدة، وإنما يتعلمن في بيوتهن".([1])

ولم يكتف الوالد بتحديد الشروط إنما تعمد أيضًا عرقلة سير الأمور بمنع دخول ابنته للمدرسة "تقدم إلى المدرسة بوصفه ولي الأمر، فسحب كل أوراق التحاقي بها". ([2]) وفي موقف آخر استغل فيه الوالد موت الجد المناصِر لعائشة حتى يلزمها بتقاليده فتقول عائشة في هذا السياق: "وتعرض بيتنا بعده لهزة عاصفة كادت تقوضه، إذ عاد أبي يصر على حجزي بالمنزل، وردي إلى الطريق المستقيم الذي انحرفت عنه".([3])

وتقول عائشة وفي قلبها مرارة وحسرة "وساعدت الظروف على حسم الموقف، حين أصبت بانهيار عصبي أعيا الرقاة والأساة دواؤه، فانقطعت عن المدرسة، وتقرر شطب اسمي من سجل طالباتها، لعجزي عن الانتظام في الدراسة. ولم يبد على والدي أي قلق من ناحيتي، بل لعله كان بحيث يؤثر لي أن أموت ولا أحيد عن طريق العلم الحق، وعد كل ما أعاني، تكفيرًا عن خطيئة خروجي إلى المدارس!".([4]) وكذلك الأمر عند محاولة دخول عائشة الجامعة فقد كانت بالنسبة لها حلم يصعب تحقيقه حتى أنها قالت: "كنت على يقين من استحالة دخولي الجامعة طالبة منتظمة، كيلا أبوء بلعنة من غضب والدي الذي ما شككت في انه بحيث يبرأ إلى الله مني لو فعلتها!".([5])

و بالنسبة لاستعارة بنت الشاطئي تقول عائشة: "في تلك الأيام على التحديد، عندما بدا لي أن أتجاوز لقلمي نطاق المجلة الشهريّة المحدودة التوزيع-

---

[1] "على الجسر". ص:34

[2] "على الجسر". ص 46

[3] "على الجسر". ص: 56

[4] "على الجسر". ص: 57

[5] "على الجسر". ص : 82

حيث لا احتمال لأن تصل إلى محيط والدي والأسرة- إلى الصحف اليوميّة والمجلات الكبرى، فكرت في التستر وراء اسم مستعار، لئلا يعلم أبي بالأمر فيغضب وينكر ويصدر قرارًا يحرم فيه علي، مكاتبة الصحف والاتصال بها، وذلك ما لم تكن تقاليد البيئة والجيل، تسوغه لحريم العلماء!"([1]) فهنا يظهر جليًا قلق عائشة من أبيها والتي قررت التستر وراء لقب "بنت الشاطئ" كيلا يعلم والدها بالأمر فيحرمها من تكملة مشوار كتابة المقالات لان ذلك لا يليق ببنات ونساء العلماء بنظره. لذا نرى دوره في اشتهار عائشة بلقب "بنت الشاطئ" فيما بعد والذي كان سببه والدها. ثم تقول عائشة عن سبب اختيارها لهذا الاسم المستعار بالذات: "ولم يطل بي التفكير في اختيار الاسم المستعار، بل كان أوّل ما خطر على بالي هو أن أنتمي إلى الشاطئ، مهد مولدي وملعب طفولتي ومدرج حداثتي ومجلى تأملاتي، والمسرح الذي شهد مأساة فاجعة قيدتنا إليه بقيود لا فكاك منها.."([2])

"أيام من حياتي" لزينب الغزالي الجبيلي

هي سجل أصلي تاريخي عبارة عن الدعوة إلى الدين الحنيف والتذكرة عن المسلمين المتمسكين بهذا الدين المتين، و تحفل بالمعانات والتحديات والتنكيلات والتعذيبات التي لاقها أتباع إخوان المسلمين على أيادي عملاء الغرب وتجار الدين والمهرجين بأشكال متنوعة وتلمع هذه الحقائق من عبارات هذا الكتاب فقالت زينب رحمها الله:

لا صلاح لأمة ولا لهذا العالم إلا بالدعوة إلي الإسلام، إن غياهب السجون ومقاصل التعذيب وشراسة حملة السياط لم تزد المخلصين من أبناء الدعوة وبناة فكرها إلا قوة وثباتاً وصبراً على دفع الباطل ونحن نترصد منابته. أضافت: سهل أن تضع القوة الباطشة العمياء السياط في أيدي المجانين، ولكن

[1] "على الجسر". ص: 80

[2] - "على الجسر". ص: 80

الصعب هو أن تصرف المخدوعين بالباطل والمقتنعين بحمل السياط والمتألهين في الأرض، عن طريق غوايتهم وجهلهم فتهديهم إلى طريق مستقيم .([1])

فقد ذكرت سياسة جمال عبد الناصر القاهرة المقلعة للجذور الإسلامية عن الوطن العربي والمستبدة للحركات الإسلامية وفي طليعتها جماعة الإخوان المسلمين، هذا البطل العظيم المزعوم والطاغية في الأصل كان متمايلا إلى المبادئ الاشتراكية وراغبا في نشرها وترويجها من خلال المؤامرة المساومة والمخادعة واللجوء إلى استخدام وكالات الاستخبارات الرسمية ضد الشعب المصري مثل خفافيش الليل.

نوال السعداوي: مذكرات طبيبة

نوال السعداوي تتذكر أجزاء من كفاحها في الحياة و تقول :

"بدأ الصراع بيني وبين أنوثتي مبكراً جداً .. قبل أن تنبت أنوثتي وقبل أن أعرف شيئاً عن نفسي وجنسي وأصلي .. كل ما كنت أعرفه في ذلك الوقت إنني بنت كما أسمع من أمي . بنت ! ولم يكن لكلمة بنت في نظري سوى معنى واحد .. هو إنني لست ولداً... لست مثل أخي"([2]).

"رأيت عيني البواب وأسنانه تلمع وسط وجهه الأسود سواد الفحم ... وأحسست بطرف جلبابه الخشن يلمس ساقي وشممت رائحة ملابسه الغريبة فابتعدت في اشمئزاز ووقفت مذعورة واندفعت أجري بعيداً عنه" ([3]).

وهذا النفور الطبيعي من الرجل بحكم الإحساس بالفارق الجنسي هو الذي سيجعل الكاتبة تعترف أن دراستها للطب وتشريحها لجسد الرجل الميت كانت انتقاماً لها من الرجل الذي تقول عنه: (ما أقبح الرجل ! من خارجه ومن داخله أشد قبحاً !) ([4]).

[1]- أيام من حياتي، ص: 2

[2]- نوال السعداوي، مذكرات طبيبة، ص: 5

[3]- نفس المصدر، ص: 9

[4]- نفس المصدر، ص: 25

وأوجدت حلا لمشاكلها كفن وتعبير فتقول: لم يبق لي من سلاح في حياتي إلا القلم. أدافع به عن نفسي، عن حريتي وحرية الإنسان في كل مكان .. ولا أتزين كالحريم ولا أستحم بالشامبو الأمريكي...) ([1]).

رحلة جبلية: رحلة صعبة للشاعرة فدوى طوقان

ولدت الشاعرة الفلسطينية عام 1923م في نابلس، ولكن ولادتها كانت مرفوضة وغير مرغوب بها في الأسرة، فالأم حاولت إجهاض جنينها (الشاعرة فيما بعد)، والتي لم تهبها اسماً إلا بعد أيام، بل لا تكاد – الأسرة – تذكر الميلاد الحقيقي للشاعرة، إلا وهي تستعيد إلى ذاكرتها حادثة موت قريب لها في السنة نفسها. كان على الشاعرة إذن أن تبحث عن (ولادتها) في الموت مرة (أخرى) أي بين دورة الولادة والموت. و قالت الشاعرة "حملت الصخرة والتعب، وقمت بدورات الصعود والهبوط، الدورات التي لانهاية لها)([2]).وصرحت عن قسوة الأسرة وسوء معاملتها والتي غرقتها في بحر من اليأس. اعترفت في سيرتها بأنها لم تعرض إلا بعض زوايا حياتها، وأنها لم تفتح خزانة حياتها كلها ([3]) لكنها ستعرض بعض الحرمانات التي تمثل دورات الانقطاع في حياتها مثل:-

- محاولة الأم التخلص من الجنين – الشاعرة فيما بعد.
- فقدان الاسم وتاريخ الميلاد.
- الإقصاء من حضانة الأم .
- إجبارها على التوقف عن الدراسة المنظمة .
- نهاية قصة حبها الأول .
- قمع موهبة الشعر وكتابته .
- التوقف زمناً عن الكتابة ([4]).

---

[1]- مذكراتي في سجن النساء، ص:8

[2]- رحلة جبلية: رحلة صعبة، ص: 16

[3]- نفس المصدر، ص: 11

[4]- نفس المصدر، ص: 9- 10

نازك الملائكة : لمحات من سيرة حياتي و ثقافتي

يبدو من هذه السيرة بأن الشاعرة العراقية نازك الملائكة بأنها كتبتها استجابة لطلبات بعض الباحثين وطلبة الدراسات العليا و عبر بما فيها:

"وقد اكتشفت أنني لا أعبر عن ذهني وعواطفي، كما يفعل كل إنسان حولي، وإنما ألوذ بالانطواء والصمت والخجل، واتخذت قراراً حاسماً : أن أخرج على هذا الطبع السلبي، وشهدت مذكراتي صراعاً عظيماً مع نفسي من أجل هذا الهدف، فكنت إذا تقدمت خطوة تراجعت عشر خطوات" ([1]).

ولعل أهم ما في اللمحات الحدث الأكبر في حياتها كان (موت الأم)، وقد روته مسبوقاً بحلم أيضاً:

"حلمت إنني أسير في شوارع لندن وأحاول شراء تابوت ملون وأبحث في لهفة ورعب ولا أجد من يبيعني تابوتاً" ([2]). وأشارت إلى رموز كثيرة كالأحلام والخوف من الموت والعزلة والتعويض من خلال تعلم الإنجليزية والفرنسية واللاتينية ودراسة العزف على العود والتمثيل وميولها التحديثية في الشعر، وآرائها حول حرية المرأة وعملها ووضعها الإنساني.

وفي مفردة الأسرة تحاول نازك أن تقدم مشهداً متصالحاً، يشفع لها في ذلك ثقافة الوالدين الأدبية (الأم شاعرة والأب باحث ولغوي) وجو الأسرة الأدبي العام، لكنها مع ذلك كانت تجد نفسها في عزلة عن الجميع، آمنت بأنها هي التي تحقق للكاتبة والشاعرة وجودها، رغم إنها ستميل لاحقاً إلى الاندماج في الجماعة عبر الهموم السياسية، والمعالجات القومية في شعرها للأحداث الكبرى في حياة العرب لاسيما قضية ضياع فلسطين واحتلالها .

---

[1]- لمحات من سيرة حياتي و ثقافتي، ص: 46

[2]- نفس المصدر، ص: 43

فاطمة موسى: صفحات من دفتر الحياة

وهي تحيلنا إلى شعور قريب من (لمحات) نازك الملائكة، فهي تسرد فترات دراستها وعملها، ودلالة انتظامها في قسم اللغة الإنجليزية رغم معارضة صديق والدها، فكان انتسابها للقسم انتصاراً لرغبتها: "من حسن حظي أني ولدت في أسرة هامشية لا يضغط عليها رأي عام من الأهل والأقارب".([1])

الملاحظ أن فاطمة موسى وضعت عناوين فرعية للصفحات، هي عبارة عن تواريخ ذات دلالة، كالثورة على الإنجليز في يناير 1952 والتي يجئ في سياقها حديثها عن زوجها، وعيشها المتواضع كرفض لما تسميه "طقوس الزواج التقليدية".

"كان زواجنا بالطريقة التي تم بها..في نظرهم جنوناً..لا مهر ولا شبكة ولا فرح ولاجهاز لائق ولا رصيد في البنك..نسكن في بدروم ونبدو سعداء بما في بيتنا من رفوف مكتظة بالكتب، ولوحات غريبة تغطي الجدران" ([2]) وتكشف الصفحات عن أفكار فاطمة موسى حول المساواة الطبقية عندما تتحدث عن مربيات الأولاد والتغاضي عن (غرابة أطوارهن)، ثم تعود لسرد انعكاس الثورة الشعبية والهيجان العام للمصرين ضد الإنجليز، على القصر وقادة الجيش والساسة.

موضوعات السيرة الذاتيّة النسائيّة:

تنطلق التميمي إلى عرض موضوعات السيرة الذاتيّة النسائيّة من خلال تعريف لوجون بأنها "سرد يستعيد ما مضى، نثري، يدوّنه شخص واقعي عن وجوده الخاص، مركزًا على حياته الفردية، لا سيما على تاريخ شخصيته"، وتقف عند العنصر الثالث من التعريف ألا وهو "مركزًا على حياته الفردية". لتستنتج إذًا أن الموضوع المعالج في السيرة الذاتيّة هو حياة الفرد وتاريخ شخصية معينة، وتضيف بأن الكاتب له الحق أن ينتقي الأحداث الأكثر أهمية في حياته أو سرد ما يراه

[1]- فاطمة موسى محمود، صفحات من الذكريات، ص:188

[2]- نفس المصدر، ص: 199

هو مثيرًا أو جليًا في كتابته للناس غير آبه بسرد تفاصيل أخرى غير مهمة برأيه عن حياته بما يتعلق بولادته وحتى لحظة الانتهاء من كتابتها [1]. ترى التميمي أن المرأة الكاتبة تتطرق في سيرتها إلى مواضيع مثل: قضية تعليم المرأة، الاهتمام بالمرأة وتطويرها، تصوير العلاقات الأسرية كصورة الأب، مكانة الأم، دور الأخ، وكذلك أيضًا تصوير العلاقة بين الرجل والمرأة، والزوج والزوجة، والعلاقات المثالية بين المرأة والرجل والصورة العنيفة للرجل من جانب آخر، وتشمل الكاتبة أيضًا موضوعات تتطرق فيها إلى العلاقة بين الفرد والمجتمع سواء تمثلت في القيام بعمل ما ضد السلطة، أو في تحديد نشاطها السياسي أو الاجتماعي [2]. وتضيف التميمي على ذلك أن السيرة الذاتيّة قد عكست الازدواجيّة في الأنساق القيميّة للمرأة التي يخضع سلوكها إلى نظامين، الأوّل تقليدي بحيث أنه يتمثل بمظاهر التسلط الأبوي ويتجلى من خلال حجبها عن الحياة العامة، فيتحكم بدراستها، بزواجها وبخروجها من البيت، وأما الثاني فهو عصري يتمثل بمقاومة المرأة وبمواجهتها لهذا التسلط. فتطرقت إلى ذلك كمواضيع في كتاباتها وصوّرت للقراء كيفية تغلبها على هذا النوع من التسلط الاجتماعي الذي يعوق تقدمها العلمي [3].

مسك الختام

لقد اتضح من البيانات السالفة الذكر بأن المرأة مع أن لها نشاطات حيوية في الأجناس الأدبية العربية المتنوعة تخلفت في كتابة السير الذاتية لأسباب مختلفة - لا يتسع المجال لذكرها - ولكنها في غضون مدة قصيرة أسهمت في هذا الجنس حديث العهد إسهامات فعالة و أخذت تتمشى مع الرجال البارزين في هذا المجال، ولمعت بعض أعلام النساء على أفق الأدب العربي، فالآن يمكن لنا الإطلال من خلال هذه السير الشخصية النسوية على المشاكل التي تواجهها المرأة العربية داخل بيوتها و خارجها، و أصبحت هذه السير النسوية مرآة صادقة لمعرفة المشاعر و الأحاسيس للمرأة العربية.

---

[1]- التميمي، أمل (2005). السيرة الذاتيّة النسائيّة في الأدب العربي المعاصر. ص 132

[2]- التميمي، أمل (2005). السيرة الذاتيّة النسائيّة في الأدب العربي المعاصر. ص 135- 134

[3]- التميمي، أمل (2005). السيرة الذاتيّة النسائيّة في الأدب العربي المعاصر. ص 144

المصادر و المراجع

1. التميمي، أمل، السيرة الذاتيّة النسائيّة في الأدب العربي المعاصر، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، عام 2005م.
2. مجلة العربي العلمي، العدد 567 - 2/2006 - ملف خاص – عبد الرحيم العلام الكاتبات العربيات وسيرهن الذاتية.
3. حاتم الصكر : السيرة الذاتية النسوية: البوح والترميز القهري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2014م.
4. فدوى طوقان، رحلة جبلية رحلة صعبة، ط2، دار الشروق- عمان الأردن، 1985م.
5. نازك الملائكة: لمحات من سيرة حياتي وثقافتي، في الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة2002م.
6. نوال السعداوي: مذكرات طبيبة، ط2، دار الآداب، بيروت 1980م.
7. نوال السعداوي: مذكراتي في سجن النساء، دار المستقبل العربي، القاهرة 1984.
8. فاطمة موسى محمود: صفحات من الذكريات، مجلة ألف، 2002م.

عندما تتكلم الذات : السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث لمحمد الباردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م .

